...ته عسل تاخت الازار من الفخذ والساق
راس الصبي فيعرف من بين الصبيان بريحها على راسه
معتدل الخلق في السمن بدن في اخره وكان لحمه متماسكا يكاد يكون على الخلق الاول لم يضره
السن وكان يمشي كانما ينقلع من صخر وينحط من صبب يخطو تكفيا ويمشي هونا بغير تبختر
اذا التفت التفت جميعا ولا يلوي عنقه عرقه كاللؤلؤ في البياض والمسك في الريح لم يُرَ
نا عنده لم ار قبله ولا بعده مثله

الباب الثالث في صفته الباطنة واخلاقه الطاهرة وادابه الباهرة

قد زينه الله تعالى بالخلق الكريم ثم اضاف ذلك اليه
تعالى فقال تعالى وانك لعلى خلق عظيم فمن مكارم اخلاقه ومحاسن ادابه انه كان احلم الناس
واشجعهم واعدلهم واعفهم واجودهم لا يبيت عنده درهم ولا دينار وان لم يجد من يعطيه وجاء الليل
لا ياوي منزله حتى يبرأ منه الى من يحتاجه وما سئل قط فقال لا واصدقهم لهجة واشدهم
تواضعا والينهم عريكة واكرمهم عزة واعظمهم حيا لا يثبت بصره في وجه احد اسكت الناس في غير
كبر وافصحهم وابلغهم في غير تطويل يقبل الهدية ولو جرعة لبن وفخذ ارنب ويكافئ عليها
وياكلها ولا ياكل الصدقة يغضب لربه لا لنفسه ينفذ الحق وان عاد بالضرر عليه نظره
الى الارض اكثر من نظره الى السماء خافض الطرف من راه بديهة هابه ومن خالطه معرفة احبه رقيق
البشرة لطيف الظاهر والباطن يعرف في وجهه غضبه ورضاه واذا اهمه امر اكثر من مس
لحيته يتكلم بكلام بين فصل يحفظه من سمعه ويعيد الكلمة ثلاثا احيانا لتنقل عنه وكان
متواصل الاحزان دايم الفكر ليست له راحة لا يتكلم في غير حاجة كثير البكا والضراعة يمشي
مع المسكين والارملة لقضا حوايجهما ويخصف نعله ويرقع ثوبه وينفي الهوام عنه يحلب
شاته ويخدم اهله ويمشي منتعلا وحافيا ويعود المرضى حتى بعض الكفار واهل النفاق
ويشهد الجنايز ويزور قبور المؤمنين ويسلم عليهم ويستغفر لهم ويركب الفرس والبعير
والحمار باكاف وعريا لكن اكثر ركوبه للاولين واما البغل فكان قليلا في بر العرب لكن اهدي
له فركبه ويركب منفردا ويردف احيانا خلفه عبده وزوجته وغيرهما ويجالس الفقير
ويواكل المسكين ويكرم اهل الفضل ويتالف اهل الشرف فكان يتواضع لاكابر الكفار للتالف
ولكونهم مظاهر العزة الالهية ويقول اذا اتاكم كريم قوم فاكرموه ولا يواجه احدا بما يكره
ويمزح ولا يقول الا حقا ويوري ولا يقول في توريته الا صدقا ويجلس للاكل مع العبيد
الى بناتي لخوانه اكراما لهم ويمشي وحده بين اعدايه بلا حارس لا يهوله شي من امور الدنيا
ولا يحقر مسكينا لفقره ولا يهاب ملكا لملكه ويدعو هذا وهذا الى الله دعا واحدا وقيل
له ادع على الكفار فقال انما بعثت رحمة اللهم اهد قومي فانهم لا يعلمون لم يكن فحاشا

ولا

ولا لعانا ولا بخيلا ولا جبانا ولا صخابا في الاسواق ويختار ايسر الامور ولا يضحك
الا تبسما يعجب مما يعجب منه جلساوه ويضحك مما يضحكون ويذكرون ما كان منهم في
الجاهلية فيتبسم قد وسع الناس خلقه فهم في الحق عنده سوا وما انتهر خادما ولا قال
له في شي صنعه لم صنعته ولا في شي تركه لم تركته بل لو قدر كان ولا ضرب بيده احدا
الا في الجهاد مجلسه مجلس حلم وصبر وحيا من فاوضه لحاجة صابره حتى يكون هو المنصرف
وما اخذ احد بيده فيرسلها حتى يرسلها الاخذ ولا يجلس الا على ذكر الله وكان اكثر
جلوسه محتبيا بيديه وكان حسن العشرة لازواجه ويسوي بينهم في الابيات والنفقة واما
المحبة فيقول اللهم هذا قسمي فيما املك فلا تلمني فيما تملك ولا املك يعني المحبة والجماع
وكان يبدا من لقيه بالسلام حتى الصبيان ويوثر الداخل بوسادته ويبسط له ثوبه
فان ابى عزم عليه حتى يفعل ولا يقول في الرضى والغضب الا الحق واذا وعظ احمرت
عيناه وعلا صوته كانه منذر جيش واذا سر استنار وجهه كانه قطعة قمر وكان
يقدم اصحابه امامه ويمنع ان يمشي احد خلفه ويقول خلوا ظهري للملايكة ولا يجزي
سيئة بمثلها بل يعفو ويصفح جمع الله به السيرة الفاضلة والسياسة التامة الكاملة وهو امي لا يكتب
ولا يقرا نشا ببلاد الجهل في فقر وفي رعاية الغنم يتيما من ابويه فعلمه الله مكارم الاخلاق وادبه
فاحسن تاديبه

فصل

وكان خلقه في الطعام انه ياكل ما وجد ولا يتكلف ما فقد واذا
حضر طعام لا يرده وما عاب طعاما قط بل ان اعجبه اكله والا تركه واكل لحم الابل والغنم والدجاج (جاج)
والسمك والرطب والتمر وشرب اللبن حليبا وممزوجا واكل الخبز بتمر والخبز بخل والخبز بشحم
وكبد الغنم مشويا والقديد والدبا وكان يحبها ويتتبعها من جوانب القصعة والجبن والثريد
والخبز بزيت والخبز بزبد واذا لم يجد شيا صبر حتى يشد الحجر على بطنه وكان احيانا لا يجد
من الدقل ما يملا بطنه وكان ياكل لحم الطير الذي يصاد فه لا يتبعه ولا يصيده وكان
اذا اتى طعامه بسط السفرة على الارض ووضعه عليها ولم ياكل على خوان ولا في سكرجة وياكل
بثلاثة اصابع وربما استعان بالرابع ونهى عن الاكل باصبع وقال اكل الشيطان وباثنين
وقال اكل الجبابرة وياكل اللقمة الساقطة ويقول لا تدعها للشيطان ويلحس القصعة
ويقول تستغفر للاعقها ويتتبع ما سقط من السفرة ويقول من فعله غفر له ويسمي الله اول
طعامه واذا فرغ حمده ولا ياكل متكيا بل مقعيا ويقول اكل كما ياكل العبد واجلس كما يجلس
العبد ويحب اللحم ويعجبه الذراع وسم فيه والعجوة والعسل والحلوى واحب الفاكهة
اليه العنب والبطيخ قال الغزالي وكان ياكل البطيخ بخبز وبسكر ويستعين بيديه جميعا

Copyright © King Saud University